

التنوع الثقافي والفن

Cultural diversity and art

دليلة نصلي بكير*

جامعة مستغانم/ الجزائر (naslibakirdalila@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 15 / 02 / 2020 ؛ تاريخ القبول : 01 / 07 / 2020 ؛ تاريخ النشر : 20 / 07 / 2020

Abstract

المخلص

Cultural diversity is among the concepts that sprouted at the beginning of the new century, and this term has been associated with a number of meanings, and this is the reason behind various trends, some of which welcome this term and others reject it. Embodied by every culture of the world. This indicates autism in the context of exchange and dialogue processes. While the second approach sees that cultural differences are what caused the inability to show our common humanity, and this is the reason behind many conflicts. Therefore, we have to shed light on this term as it is among the concepts that have known interaction and friction in cultures and which led to their tension and harmony at the same time.

Keywords: Cultural diversity, Art, Philosophy, Culture.

يعتبر التنوع الثقافي من بين المفاهيم التي بزرت في مطلع القرن الجديد وقد ارتبط هذا المصطلح بمجموعة من المعاني، وهذا ما خلف توجهات متنوعة بعضها يرحب بهذا المصطلح والبعض الآخر يرفضه، أما التوجه الأول والذي يعتبر التنوع الثقافي عاملا إيجابيا في حد ذاته ويرى بأنه تقاسم للشورة التي جسدتها كل ثقافة من ثقافات العالم. وهذا ما يدل على التوحد في سياق عمليات التبادل والحوار. في حين يرى التوجه الثاني أن الفوارق الثقافية هي التي كانت سببا في العجز في اظهار انسانيتنا المشتركة وهذا ما خلف العديد من النزاعات. لذلك أوجب علينا أن نسلط الضوء على هذا المصطلح باعتباره من بين المفاهيم التي عرفت تفاعل واحتكاك في الثقافات والتي أدت الى توترها وانسجامها في الوقت ذاته.

الكلمات المفتاحية: التنوع الثقافي، الفن.

* الباحث المرسل:

1. مقدمة:

من المعلوم أن المجتمع البشري عرف تطورا على مختلف أصعدة عبر المراحل التاريخية وبالخصوص في الفترة المعاصرة. ذلك ان المجتمع البدائي كان مركب بسيط من أساليب الحياة حاول تصدى لقساوة الطبيعة وعرف أهمية الاجتماع والتكتل وتشكل وحدات اجتماعية، الى أن شكل دول ووحدات إقليمية ووحدات جغرافية وبرزت فيه قوافل وأساطيل التجارة، فكانت هذه الأخيرة حافزا لتعايشه مع مختلف البشر ومعرفة مظاهر حياتهم ولباسهم ولغتهم. ومنذ ذلك الحين ظهرت بوادر الابداع والتنوع في الثقافات والتفاعل ولباسهم ولغتهم وكذا التعاليم الدينية السماوية والتي ركزت على ضرورة التنوع والتعايش. كل هذا يبين أن التنوع الثقافي له ماض بعيد ولكن تاريخه حديث، ظهر مع تطور العلوم الاجتماعية والنفسية وصولا الى عصرنا الحديث.

فالتنوع الثقافي يشمل عدة نواحي في الحياة فلم يقتصر على ثقافات متعددة منتشرة عبر الدول، كما أن المكانة التي أصبح عليها اليوم في ظل التطورات المعاصرة قادتنا الى الوقوف عنده كمفهوم داخل قلب الثقافة، وبذلك سنحاول ابراز ماهية هذا المصطلح ومدى ارتباطه بالمفاهيم التي تخدمه. فماهي أهم المعاني المقدمة للتنوع الثقافي؟ وما هو الدور الذي يلعبه داخل المجتمعات؟ وكيف يساهم التنوع الثقافي في الفن؟

ماهية التنوع الثقافي:

ينبغي الإشارة الى أن " كل عرض متعلق بالمسائل الثقافية يتقدم على أرض كلمات مضطربة، الأمر الذي يجعل من المستحيل فرض تعريف مفهومي، اصطلاحي لهذه الألفاظ: ذاك أن دلالاتها تقوم على التوظيفات في شتى الأيديولوجيات والأنظمة"، لكن سنحاول أن نتطرق الى أهم المعاني وأبرزها لهذا المصطلح. فمند تواجد البشر على سطح المعمورة لم تبقى بقعة على وجه الأرض لم يشغلها الانسان باستثناء المناطق المتجمدة، وهذا ما أدى به الى انشاء مجتمعات متفرقة يعيش ويعمل فيها، كما أن هذه المجتمعات امتازت بمجموعة من ثقافات والقيم والعادات والتقاليد والتي تختلف من مجتمع الى آخر والتي تشكلت عبر الزمن بحيث خلقت تنوعا عالميا في الثقافات. هنا ظهر ما مفهوم جديد عرف بالتنوع الثقافي **Diversity Cultural** والذي تم دعمه من قبل منظمة

اليونسكو والتي اعتمدت على شعار "تنوعنا هو مصدر قوتنا" وربما هذا ما ساهم في تداول وانتشار هذا المصطلح عبر العالم. بالرغم من تقديم تعريفات متعددة له، حيث أن هذه التعريفات قد ارتكزت في بدايتها على تنوع الأعراق والاثنيات لكنها فيما بعد تطورت لتشمل الاختلاف الموجود بين الأفراد على أساس مجتمعاتهم وثقافتهم، كما أنه هنالك من ذهب الى تحديد التنوع الثقافي وتحديد الاختلاف في الثقافة والاثنية وكذا اللغة والمعتقدات الدينية والتوجه الجنسي والهوية وغيرها. ويعتبر نكومو وتايلور أن التنوع الثقافي "هو ذلك المزيج بين الناس والذين يختلفون في انتمائهم وكذا هويتهم الثقافية وفي نفس الوقت يتعايشون في نفس النسق الاجتماعي".

ولعل هذا ما يقودنا الى إيجاد نظريتين لهذا التنوع، أما النظرة الأولى والتي تركز على المستوى العلمي للتنوع وذلك من خلال اختلاف ثقافات العالم والدول وزحم تراثها وعاداتها وتقاليدها، كما تكمن النظرة الثانية في تلاقي الافراد من جل الثقافات المختلفة والتي تندرج تحت نسق اجتماعي معين. ولعله كما أسلفنا سابقا أن دور منظمة اليونسكو الذي برز في تشجيع هذا التنوع وقد أصدرت هذه المنظمة مجموعة من التوصيات والتي تحت على ابرازه ودعمه عالميا، وقد ذكر كلود ليفي شتراوس أن "الثقافة تأخذ أشكالا متنوعة عبر الزمان والمكان ويتجلى هذا التنوع في أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الانسانية، والتنوع الثقافي، بوصفه مصدراً للتبادل والتجديد والابداع، وهو ضروري للجنس البشري كضرورة التنوع البيولوجي للكائنات الحية". فيمكن أن نقول ان التنوع الثقافي هو عبارة عن مجموعة من السلوكيات والمعتقدات التي تهدف بوجودها الى الاعتراف بوجود كل الاطراف البشرية المتنوعة، ذلك داخل مجتمع ما ولابد من توازنه وكذا تميزه باختلافات سواء كانت اجتماعية أو ثقافية. وهو بالدرجة الأولى حقيقة واقعة إذ هنالك مجموعة واسعة من الثقافات التي تمتاز عن غيرها على أساس الملاحظة الأنثوغرافية، بالرغم من وجود صعوبة في تحديد الخطوط التي ترسم حدود ثقافة معينة. كما أن انتشار الوعي بهذا التنوع أصبح اليوم أمرا شائعا وهذا ما ساعد على التبادل الثقافي وخلق تقبل لدى أغلبية المجتمعات في تقبل آخر. وربما هذا ما جعل التنوع الثقافي ذا مكانة مهمة في الشواغل الاجتماعية بحيث يرتبط بتنامي التنوع القواعد الاجتماعية والمعمول بها داخل المجتمعات. فهو عل حسب أحد المختصين في علم الاجتماع والذي يرى بأن هنالك عدة إجراءات التي تساعد على الوصول لضبط مفهوم التنوع الثقافي وهي "على النحو الآتي: احترام الاختلافات، تقدير وتنميين ما تقدمه الثقافات الأخرى، الإقرار بوجود التنوع الثقافي الغزير، الاعتراف بتنوع أشكال التعبير الثقافية المختلفة". كما يقصد بالتنوع الثقافي "وجود العديد من الثقافات في مؤسسة معينة

أو في مجتمع معين أو في العالم بأسره، ومن أبرز الأمثلة عليه وجود تجانس بين الثقافات المحلية مع الثقافات الوافدة، ويشير هذا التجانس لقابلية التعايش المشترك تحت مفهوم التنوع وليس الصدام. ويحترم التنوع الثقافي كل مظاهر الاختلاف في التقاليد واللباس واللغة، وتصور المتعاشين للأخلاق والعادات والتقاليد، وأشكال تفاعلهم مع البيئة المحيطة"، كما يعرف على أنه "هو وجود العديد من الثقافات في مؤسسة معينة أو في مجتمع أو في العالم، وهو عبارة عن مجموعة من الثقافات المختلفة والمتنوعة، ومن أبرز الأمثلة على التنوع الثقافي الثقافات المتجانسة، والثقافة العالمية، وقد تشير إلى وجود العديد من الثقافات المتنوعة والتي تحترم بعضها البعض، ويتم استخدام هذا المصطلح في الكثير من الأحيان في الثقافات المجتمعية، كما أنها من الممكن أن تكون من الأسباب الرئيسية للعولمة، وتختلف الثقافة بشكل تام في الكثير من المجتمعات مثل التقاليد واللباس واللغة". ومن الأوائل الذين يتركزوا الى دراسة هذا الاختلاف والتنوع الثقافي للأنثروبولوجي هو "عالم النفس الاجتماعي" هوفستيد Hofstede، "حيث توصل الى مجموعة من الأبعاد التي تفسر الاختلافات الثقافية المتعلقة بالثقافة الوطنية التي يتشارك فيها العمال والمدراء بعد دراسة قام بها شملت 116000 موظف لدى بعد القوة "مدى بعد أو قرب القوة من شركة IBM منتشرة في 40 دولة، وقد ضمنها في أبعاد وهي: أفراد المجتمع حيث تتصف بعض المجتمعات باتباع الهيكل التنظيمي والتدرج، والتقدير والاحترام فيها يكون للأشخاص الأكبر سناً وأقدمية، ويتم فيها اتخاذ القرار بصفة شخصية لمن يملك القوة ويسطر عليها".

كما أن هذا التنوع الثقافي أصبح ذات توجه عالمي وذلك لأنه أصبح مدعوماً من قبل أكبر المنظمات العالمية الناشطة في مجال الثقافة، فقد أصدرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة * UNESCO أثناء احتفالها بالذكرى السنوية العاشرة للإعلان العالمي لليونسكو بشأن "التنوع الثقافي مجموعة من التوصيات التي تحتل على إبراز التنوع الثقافي ودعمه عالمياً، حيث يذكر "كلود ليفي شتراوس" أن الثقافة تأخذ أشد كالا متنوعة عبر الزمان والمكان ويتجلى هذا التنوع في أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية، والتنوع الثقافي، بوصفه مصدراً للتبادل والتجديد والابداع، وهو ضروري للجنس البشري كضرورة التنوع البيولوجي للكائنات الحية"، بحيث "طالبته اليونسكو بالنظر للتنوع الثقافي بوصفه تراثاً مشتركاً للإنسانية يمكن أن ننطلق منه نحو التعددية الثقافية التي لا يمكن

فصلها عن الإطار الديمقراطي، تمهيدا للتبادل الثقافي ولازدهار القدرات الإبداعية التي تغذي الحياة السياسية. وتُنظر اليونسكو للتنوع الثقافي بوصفه عاملا محركا للتنمية لأنه يوسع نطاق الخيارات المتاحة لكل فرد، وبالتالي فهو أحد مصادر التنمية، لا بمعنى النمو الاقتصادي فحسب، وإنما من حيث هي أيضا وسيلة لبلوغ حياة فكرية وعاطفية وأخلاقية وروحية مرضية، وفي هذا الإطار ينظر لحقوق الإنسان بوصفها ضمانا للتنوع الثقافي"، كما أنه من ناحية أخرى حرصت المنظمة لنظر في الحقوق الثقافية وذلك بوصفها إطارا ملائما للتنوع الثقافي والذي يضمن أن يكون هذا الحق متوفرا للجميع بحيث يسمح لهم بالتداول الحر للأفكار بالكلمة والصورة، وكما يحرص على تمكين كل الثقافات من التعبير عن نفسها والتعريف بنفسها ويرى أن التراث الثقافي على أنه مصدراً للإبداع، فالاعتراف به باعتباره كذلك كـ "مكونا أساسيا للحقوق الإنسانية هو ظاهرة جديدة. إلا أن مساره ليس كذلك. فهو يعود الى الأمد المديد ويتسم بسمات النزاعات". كما ينص الإعلان العالمي للتنوع الثقافي فإن "السلع والخدمات الثقافية يجري تمييزها عن غيرها من السلع والخدمات لأنها الحاملة للهوية والقيم، ومن ثم تكفل السياسات الثقافية في كل بلد تهيئة الظروف لإنتاج ونشر سلع وخدمات ثقافية متنوعة، عن طريق صناعات ثقافية تملك الوسائل اللازمة لإثبات ذاتها على الصعيدين المحلي والعالمي، وأخيرا تعزيز القدرات على الإبداع والنشر على المستوى الدولي والسعي لإقامة شراكات بين القطاع العام والقطاع الخاص والمجتمع المدني". كما أن "الدعوة الى هذا التنوع الثقافي هي استوجب واسع، كشكل ينطوي على وقائع ومواقف متناقضة، جاهز وقابل لكل التسويات الظرفية. فباسم الحفاظ على تنوع الثقافات، تدافع دول ومؤسسات دولية عن إرساء سياسات عامة، قومية وإقليمية، ترمي الى جعل ابداعات الفكر، ومنها السمعي البصري، استثناء. تشجيع التنوع بتوسيع مروحة العرض السوقي: هذه هي الذريعة التي تفرضها، في المقابل، المجموعات التواصلية الكبرى لمعارضة موقع فريد للثقافة وتسويغ سباقها نحو التمرکز".

ولعل "الثقافة" من بين المصطلحات التي نجدها حاضرة في التنوع الثقافي باعتبارها المحور الأساسي الذي يركز عليه التنوع، لذا استوجب الوقوف عند مفهوم الثقافة لكونها إحدى الأشكال المتنوعة عبر الزمان والمكان والتي تعرف بالتنوع في الأصالة وتعدد الهويات التي تتألف منها الإنسانية، والتنوع الثقافي الذي يعتبر مصدرا للتبادل والتجديد والابداع والذي يعتبر إحدى ضروريات الجنس البشري. وما يمكن أن نلاحظه هو أن هذا التنوع لم يقتصر فقط على القارات وإنما نجد هذا الاختلاف حتى بين الدول أو أبعد من ذلك حتى بين أجزاء الدولة ذاتها، كما ان الثقافة ليست كل

شيء بالنسبة للأفراد أي ان ما يعجب هذا قد لا يعجب الفرد الآخر فعند المقارنة بين الثقافات عبر العالم نجد أن معظمها يواجه نفس أبعاد الثقافة في حين هنالك فروق وتظهر في طريقة التعامل كل واحدة مع هذه الأبعاد. فالثقافة **Culture** والتي تتعدد مفاهيمها وتتنوع على حسب فهم الأفراد وفهم الباحثين وكذا المختصين، وفهم الأدباء والمفكرين وربما يعود السبب في ذلك هو صعوبة إيجاد تعريف دقيق وواضح لما يعنيه هذا المصطلح في الواقع. فالثقافة "هي صقلٌ للنفس والفطنة والمنطق (...)" تُعتبر الثقافة روح الأمة والعنوان الرئيسي لهويتها، فهي إحدى أهم ركائز بناء المجتمع ونهوضه، حيث إنّ لكلّ أمة ثقافة تستمد منها خصائصها وعناصرها، فتنسب إليها وتتصبغ بصبغتها"، كما أنها مفردة عريقة في أصول اللغة العربية والتي تعني "تقف ثقفاً ثقافة في القاموس المحيط، وتعني تثقيف الرّمح أي تقويمه وتسويته، وتُستخدم كلمة الثقافة في الوقت الحاليّ للدلالة على الرقيّ الأدبيّ، والفكريّ، والاجتماعيّ للفرد والجماعة، ولا تعتبر الثقافة مجرد مجموعة من الأفكار، فهي إضافةً لذلك تعتبر نظريّة في السلوك لرسم مجمل طريق الحياة، متمثلةً بالطابع العام السائد في المجتمع، والثقافة هي إحدى الوجوه التي تميّز كلّ أمة عن غيرها من الأمم والمجتمعات بكلّ ما تحويه من لغة، وعقيدة، وقيم، ومبادئ، وسلوك، وتجارب، وقوانين، الميراث". والمفهوم السائد حول الثقافة في المجتمعات هو أنها مجموعة من الفنون والآداب والمعارف بشتى مجالاتها والتي تظهر في أشكال متنوعة كالفعاليات والملتقيات التي ينشطها أدباء وفنانون وجل الطبقة المهتمة بذلك والتي تعرف بالطبقة المثقفة وذلك لما تكتسبه من معارف وكذا اهتمامها بالأدب والمعرفة والفكر والفن. فمركزية "إشكاليات الثقافة في السجلات الدائرة حول مشروع نظام عالمي جديد تشهد على المكانة المتنقلة الى شبكات وصناعات الثقافة في إعادة تصور استراتيجيات القوة".

فتعريف الثقافة يصعب تحديده بدقة، حيث في "سنة 1952 قام الانثروبولوجيين كروبر و كلوكهوهن Kluckhohn and Kroeber بتجميع ونقد 164 تعريفاً مختلفاً، وبرر هذا الكم الهائل بأنه: على الرغم من مرور قرن من المحاولات لتعريف الثقافة حتى وصولنا الى التسعينات، إلا أنه لا يوجد اتفاق بين الانثروبولوجيين حول طبيعتها. فهي ذلك الكل المعقد من المعارف والمعتقدات، والأفكار والقيم والفنون والأدوات والقوانين والعادات التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في مجتمع، او بعبارة أخرى هي نوع حياة وأنماط سلوك مشتركة يتعلمها مجموعة من الناس، وتنتقل من جيل الى جيل، ومن شخص الى آخر بواسطة رموز تم

التعارف عليها مثل اللغة"، ويمكن أن نعتبرها ذلك التطور الجسمي والروحي الذي يساهم فيه الوسط الاجتماعي بالدرجة الأولى، فالثقافة لها دور في تحويل الفرد الى نوع كامل بحيث يضيف عليه مجموعة من الخصائص والتي ينفع بها ذاته ومجتمعه ووطنه. كما يعرفها "كوفالرون": أنها تلك القيم المادية واللامادية التي يخلقها الإنسان في سياق تطوره الاجتماعي وتجربته التاريخية، وهي تعبر عن مستوى التقدم التكنولوجي والإنتاج الفكري والمادي والتعليم والعلم والأدب والفن الذي وصل إليه المجتمع في مرحلة معينة من مراحل نموه الاجتماعي والاقتصادي، وبجملة موجزة هي إنجازات الإنسان التي يعبر بها من خلال حياته وطرائقه في التفكير والسلوك والعمل والتي تأتي نتاجاً لتفاعله مع الطبيعة ومع غيره من البشر".

تعطى مصطلحات "الثقافة" و"الحضارة" و"الشعوب" معانٍ تتباين حسب السياق، ففي حين أن "الثقافات" تشير الى "كيانات تعرف من حيث علاقة واحدة بالأخرى، فإن مصطلح الحضارة يشير الى ثقافات تؤكد قيمها أو رؤاها للعالم باعتبارها عالمية وتتبنى نهجا توسعيا إزاء تلك التي لا تشاطرها هذه القيم أو الرؤى. ولذا فإن محاولة اقناع مراكز الحضارة المختلفة بأن تعايش في سلام تشكل تحديا حقيقيا بكل معنى الكلمة. غير أن الحضارة في مفهوم اليونسكو -وهو مفهوم بعيد عن النظريات الأيديولوجية التي تنتبأ بوقوع "الصدام بين الحضارات"- تفهم بأنها عملية مستمرة لتقبل كل ثقافات العالم على قدم المساواة في إطار مشروع كوني دائم"، ان مصطلح "ثقافة أو حضارة يدل بمعناه الاثنوغرافي الأوسع على هذا الكل المكثف الذي ينطوي في آن على المعرفة، الاعتقادات، الفنون، القوانين، العادات أو كل ملكة أخرى أو عادة يكتسبها الكائن البشري من حيث هو عضو في مجتمع. هو ذا التعريف الذي قدمه سنة 1871 البريطاني إ. ب تايلور في ثقافة بدائية (Primitive Culture). فما يميز مجتمعا من آخر، كما لا حظ، انما هي النماذج الثقافية (Patterns Culture)". كما إن هنالك مجموعة من الصعوبات تواجه التنوع والتي تتجلى في أن "العديد من المجتمعات ترجع الى وسائط مختلفة، خصوصا التوصيفات الاثنية أو اللغوية، للتعبير عن تميزها الثقافي. وعلى هذا، فإن التحدي الأول يتمثل في دراسة السياسات المختلفة المتبعة دون الخروج عن موضوعنا، فالموضوع هو التنوع الثقافي وليس الوسائط التي ينحصر فيها أحيانا. ويقوم أحد الحلول على اعتماد أوسع تعريف ممكن للثقافة يتمشى مع توافق الآراء". ينبغي الإشارة الى أن الثقافة العامة هي تلك الثقافة التي تسود المجتمع من "تلك العادات والقيم والتقاليد واللغة والفن والسياسة والعلم والتكنولوجيا التي تميز مجتمع عن آخر والتي تؤثر في شخصية الفرد وفي أفكاره وسلوكه وفي تعامله مع غيره. ويعتبر

هوفستيد أن الثقافة أنها عبارة عن برمجة عقلية للأشخاص تبدأ منذ الصغر والتي تتمثل في الأفكار، والمشاعر، وأنماط السلوك التي يتعلمها الفرد من محيطه الاجتماعي، وتتم عن طريق التعلم والمحاكاة، ومع الوقت تبرمج ضمن عقل الفرد. وبالتالي يعرفها على أنها البرمجة الجماعية للعقل التي تميز أفراد مجموعة عن أخرى" بحيث ولا توجد ثقافة أحسن من ثقافة أخرى أو أرقى منها، فالثقافة هي "نتاج تكيف الأفراد مع ظروف الحياة حتى وإن مر على تلك الظروف قرون عديدة إذ يبقى أفرادها مقاومين للتغيير". وقد "شمل الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي مجموعة من المواد التي تؤكد من جديد أن الثقافة ينبغي أن يُنظر إليها بوصفها مجمل السمات المميزة، الروحية والمادية والفكرية والعاطفية، التي يتصف بها مجتمع أو مجموعة اجتماعية، وعلى أنها تشمل إلى جانب الفنون والآداب طرائق الحياة، وأساليب العيش معاً، ونظم القيم والتقاليد، والمعتقدات. وأكد الإعلان أن الثقافة تحتل مكان الصدارة في المناقشات المعاصرة بشأن الهوية والتماسك الاجتماعي وتنمية اقتصاد قائم على المعرفة، مشيراً إلى أن احترام تنوع الثقافات، والتسامح، والحوار، والتعاون، في جوّ من الثقة والتفاهم، خير ضمان لتحقيق السلام والأمن الدوليين".

ويعتبر الفن إحدى أدوات "تطبيق الثقافة من جميع النواحي، إضافةً إلى مساهمته بشكلٍ فعال في رفع المستوى الثقافي على جميع الأصعدة، وتساهم الثقافة في تنمية المدارك وخلق أنواع جديدة من الفنون من الناحية العملية والجمالية، وهذا الأمر يوضّح العلاقة الوطيدة بين الفن والثقافة والبنى التركيبية المشتركة بين كلا المجالين، فعادةً ما يرتبط المصطلحان مع بعضهما البعض في كافة المنابر". بما أن الفن هو "لغة الحوار بين عددٍ من الثقافات وأداة تطبيق لتلك الثقافات فإنّه يهدف إلى إنشاء نوع من الفضاء الحوارى وخلقه وصقله وتشكيله، لخلق معانٍ جديدة ذات شكلٍ جمالي للثقافة. من هنا يتّضح بأنّ الثقافة هي عبارة عن كلّ مركّب يتضمن جميع العقائد، والمعارف، والأخلاق، والفنون، والعادات، والقوانين، ولأنّ الثقافة في معانيها ومركباتها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفنون، يتّضح بأنّه لا يوجد فنّ دون ثقافة ولا توجد ثقافة دون فنّ، فهما يتحدان ببعضهما كاتحاد الأكسجين بالكربون لينتج الماء، فتتحد الثقافة بالفن لينتج الابداع". وينبغي أن نشير الى خصائص الثقافة وذلك لغرض فك الغموض عن هذا المفهوم، فالثقافة هي ظاهرة إنسانية والتي تعبر بدورها عن إنسانية البشر وبهذا يمكن أن نعتبرها الفاصل الذي يفصل بين الانسان والساكنات الكائنات الحية وهي إحدى الطرق التي تمكنه بالاتصال بالآخرين، كما أنها تحدد ذات الفرد

وعلاقته بالطبيعة وكذا ما ورائها لتصل به الى كافة مجالات الحياة. كما يعتبر "قوام الحياة الاجتماعية، فلا يخلو أي عمل فكري أو فني جمالي أو اجتماعي منها، فهي تقوم بتيسير سبل التفاعل مع المحيط سواء كان هذا المحيط مادة أو بشر أو مؤسسة. تمتاز الثقافة بأنها عملية إبداعية متجددة، تقوم بإبداع كل ما هو جديد ومستقبلي عن طريق عدد من القرائح التي تُعبر عنها وتمثلها، فعملية التفاعل سواء مع الواقع أو التجاوز باتجاه المستقبل، ويُعتبر هذا التكيف من الوظائف الحيوية لها. الثقافة هي عبارة عن إنجاز كمّي مستمر عبر التاريخ، فهي بالإضافة لاحتوائها على كل ما هو جديد تُحافظ على التراث وتجدد قيمه الفكرية والروحية والمعنوية". وهذه الخصائص يحيلنا الى التعريف الذي قدمه المفكر الجزائري مالك ابن نبي في مؤلفه "شروط النهضة" والذي سلط ضوء على طبيعة التشويه الذي رافق فهمنا لمفهوم الثقافة، فقد قدم تعريفا لها بناء على تصوره والتي تعني " مجموعة الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كراسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته"، وهنا يؤكد مالك بن نبي مدى تأثير الثقافة على سلوك البشر. وعلى هذا الأساس تكون "الثقافة (نظرية في السلوك) أكثر من أن تكون (نظرية في المعرفة). وهي هذا التجديد يكمن الفرق بين الثقافة والعلم، فالثقافة سلوك، أما العلم فمعرفة. والثقافة بهذا المعنى وثيقة الصلة بالتاريخ والتربية، فليس ثمة تاريخ لأمة بلا ثقافة، والشعب الذي فقد ثقافته قد فقد حتما تاريخه، إذ هي الوسط الذي تتكون فيه خصائص المجتمع التاريخية من عبقرية وتقاليده وأذواق ومشاعر. والثقافة من ناحية ثانية، تنحدر بمضمونها التربوي من حيث إنها دستور تتطلب الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي"، ويؤكد مالك على ذلك بقوله و " نحن نريد أن نؤكد هذا، لنذكر أن السلوك الاجتماعي للفرد خاضع لأشياء أعم من المعرفة، وأوثق صلة بالشخصية منهم، بجمع المعلومات، وهذه هي الثقافة".

إيجابيات وسلبيات التنوع الثقافي:

لابد من الوقوف عند هذه النقطة وذلك لمعرفة أهميته وهل بإمكان هذا التنوع أن يخدم المجتمع وما هي أهم أضراره، ويمكن القول إن التنوع الثقافي وتعدد الثقافات عبر العالم له مجموعة من السلبيات والايجابيات ونذكر على سبيل المثال:

1- إيجابيات التنوع الثقافي: وتتمثل في التعرف على مختلف الثقافات الأخرى التي تعم في المجتمع من المجتمعات وفي الدول كالعادات والتقاليد والقيم والأعراف وغيرها، وهذا يضيف نوع من التركيب الذي يجعل المجتمع أكثر تنوعا. كما أن التنوع يخلق نوعا من الاحترام المتبادل بين

مختلف الثقافات المختلفة في المجتمع كأعطاء فرص متنوعة وجديدة تضمن الحريات والمساواة بين مختلف الثقافات مثل سن القوانين لحماية هذا التنوع واحترامه. ومن "إيجابيات التنوع الثقافي الاعتراف بشرعية جميع الثقافات الموجودة في المجتمع الواحد وإعطاء فرصة للعمل على تحقيق المساواة والحريات بين جميع الثقافات الموجودة عند سن القوانين والتشريعات على سبيل المثال". فالاعتراف "بشرعية جميع الثقافات الموجودة في المجتمع، حيث أنها تمثل جزءاً مهماً من المجتمع. التعرف على عادات الثقافات الأخرى وقيمتها وتقاليدها. إعطاء فرصة تعمل على تحقيق المساواة والحريات بين جميع الثقافات الموجودة داخل المجتمع كسن القوانين على سبيل المثال. وجود الاحترام بين الثقافات المختلفة داخل المجتمع، بالإضافة الى التحقيق الذاتي للفرد، وتطور النقد الذاتي"

2- سلبيات التنوع الثقافي: بالرغم من وجود إيجابيات داخل التنوع فان له مجموعة من السلبيات ونذكر من أهمها: تفكيك المجتمع وبالتالي يؤدي الى فك وحدته ويصبح نسيجه الاجتماعي هش وذلك لأن لكل ثقافة عادات وتقاليده ونمط حياة مختلف عن الثقافة أخرى. فالتنوع الثقافي قد يؤدي في بعض الاحيان الى عدم استقرار اجتماعي ويخلق فوضى اجتماعية وذلك لكونه لا يحمل قوانين موحدة لكل الثقافات وذلك راجع بطبيعة الحال الى الاختلاف الموجود في القيم والعادات بحيث لا توجد ثقافة صحيحة. ويجعل الثقافة تتغلق على ذاتها وذلك يجعلها تكون إطار خاص بها بعيدا عن الإطار المشترك وهو الدولة، وبهذا ينتج عدة دول في قلب دولة واحدة وذلك يساعد على تفكيك الإطار المشترك. كما يخلق صراع عنيف داخل الثقافات وذلك عند محاولة خلق قوانين موحدة للدولة وتصبح السيادة للجميع وهذا يؤدي الى حرب أهلية. كما أنه "الممكن أن يؤدي الصراع الثقافي إلى حرب أهلية عند خلق دستور موحد وقوانين موحدة للدولة. قد يؤدي إلى فوضى وعدم استقرار اجتماعي، أي لا يوجد أية قوانين موحدة لجميع الثقافات بسبب وجود اختلاف في العادات والقيم. قد يؤدي إلى تفكيك وحدة المجتمع والنسيج الاجتماعي، مما يؤدي إلى جعل المجتمع كالفسيخ، ويعود السبب في ذلك إلى أن لكل ثقافة نمط حياة وعادات وتقاليده. تساهم في تكوين إطار خاص للثقافة وانغلاقها على نفسها، مما يؤدي الى تفكيك الإطار المشترك وهو الدولة". بالرغم من العديد من سلبيات التنوع الثقافي إلا انه هنالك جانب إيجابي له مهم في خلق الابداع وكذا تنوع الأفكار والتعايش وفهم الثقافات الأخرى وفي نفس الوقت يخلق العديد من المتاعب الكبيرة قد تؤدي الى عدم استقرار المجتمعات.

مظاهر التنوع الثقافي: هنالك العديد من مظاهر التنوع الثقافي ونذكر من أبرزها

1- اللغة: وتقف اللغة على رأس مظاهر التنوع الثقافي، وهي "الركن الأساسي الذي تقوم عليه أي هوية ثقافية محلية، حيث تفتخر كل أمة بمزايا لغتها، وهي راية هويتها، وكذلك يبرز الدين على رأس مظاهر التنوع إلى جانب العادات والتقاليد. وهناك علاقة تلازم بين التنوع الثقافي والهوية الثقافية، حيث إن الهوية لا يمكن أن تكتمل إلا بوجود الثقافة، وتتميز الهوية الثقافية بأنها تمتلك القدرة على فهم التنوع الثقافي لجميع الشعوب"، كما أعطى "القرن التاسع عشر، أخيراً، معنى لمسألة اللغة في سياسات التآلف الثقافي على الصعيد العالمي" فأصبحت "عنصر هام جداً تتكون من مجموعة من الرموز وظيفتها تتمثل في تحديد المعاني والربط بينها، فهي تسمح لنا بتسمية وترميز الأشياء من حولنا في عالمنا وبالتالي تمنحنا القدرة على التفكير والتفاعل فيما بيننا كبشر حول الأشياء المحيطة بنا، واللغة نتاج اجتماعي يتولد عن طريق الاتصال والتفاعل، وهي عملية معرفية. وبالتالي فإن اللغة أحد العناصر الرئيسية في تشكيل ثقافة الأفراد والمجتمعات، فبواسطتها يتم ترميز الأشياء حسب ما تعني لولا تلك الأفراد أو تلك المجتمعات"، وهذا ما يبرز في اختلاف معاني الأشياء من مجتمع إلى آخر، وليس فقط دولة بين دول أي أن المعاني تختلف ما بين شرق البلاد وغربها، واللغة ليست مجرد عنصر من عناصر الثقافة فقط بل هي كذلك وسيلة للتعبير عن ثقافة الشعوب بحيث لا يمكن فهم هذه الثقافة إلا بدراسة لغتها الأم، فهي العنصر الذي يزود الثقافة بالدلالات والمعاني وكذا الرموز للنتاج الثقافي للشعوب.

2- الديانة: تعتبر الديانة أحد العناصر المهمة في تشكيل ثقافات الشعوب، "من خلال التعاليم والواجبات الدينية التي يقوم بها الأفراد. والقيم الدينية تساهم في تحديد سلوك الأشخاص واتجاهاتهم نحو المواضيع المختلفة في الحياة، وتختلف الشعوب في ممارساتها الدينية كل حسب ديانته، كإيمانهم بإله واحد أو عدة آلهة، كيفية صلتهم بالإله ومدى أهميتها، الممارسات اليومية ونواهي وأوامر الدين" والديانة هي "أحد المصادر الأساسية للمعرفة المكونة للقيم والاتجاهات كما وإنها أحد دعائم أو مكونات سلطة الأمر والنهي الذاتي للفرد والتي تعرف باسم الضمير". فاختلاف الثقافات له صلة باختلاف القيم الدينية ذلك أن قيم المجتمع الإسلامي تختلف عن قيم المجتمع المسيحي وتختلف عن قيم المجتمع البوذي مثلاً، وبما أن "القيم عنصر من عناصر الثقافة نجد أن هذه القيم الدينية تحدد وتتحكم في ثقافة المجتمع وفي أسلوب حياته من خلال تحديد الحلال والحرام، المعتقدات، نمط المعيشة وأسلوب الحياة، حتى في بعض الديانات تحدد شكل اللباس والمظهر"

- 3- التنظيم الاجتماعي: إن لكل ثقافة تنظيم اجتماعي معين والذي يتمثل في الجماعات المكونة للمجتمع كالأسر وجماعة العمل والمجموعات الدينية، والأصدقاء، و"الجماعات التي تربطها نفس الاهتمامات، فالمجتمعات القبلية تختلف في ثقافتها عن المجتمعات المتمدنة من خلال تكوين الأسرة حيث نجد أن الأسرة ممتدة وتعيش مع بعضها في نفس المكان، وتتسم باحترام عامل السن، عكس المجتمعات المتمدنة أين تظهر الأسر النووية بكثرة ويغيب نوعاً ما احترام عامل السن، وهذا ما يبين مدى ارتباط القيم الثقافية بطبيعة تنظيم المجتمع".
- 4- الفن والأدب: هي إحدى العناصر التي تحدد ثقافة مجتمع ما في فترة معينة، "فالمسرحيات والروايات والموسيقى والفن عموماً تحكي مظاهر الحياة الثقافية للشعوب، كما أنها تؤثر في ثقافة الأفراد وتزيد من تعلقهم بثقافتهم الأم. وفي عصرنا الحالي يظهر هذا جلياً في تأثير الفن والأدب في شخوص الناس خاصة في عصر العولمة أين تأثرت الثقافات بفنون وآداب المجتمعات المتقدمة".

خاتمة:

مما تقدم يمكن القول، أن التنوع الثقافي عرف العديد من التقلبات المفاهيمية، فهو على اعتباره مزيج من الثقافات المتنوعة والمجتمعات البشرية والتي بدورها تكون عاملاً أساسياً في تطور وسعي الدول الى ابراز مكانتها الاجتماعية، فبالرغم من سلبياته إلا أنه يؤثر بشكل أو بآخر على تنامي الوعي الفكري في قلب المجتمعات وكذا تعزيز التقاليد الثقافية فيمكن أن نشير الى اكبر الدول التي يتلاقى فيها التعدد الثقافي ليصبح بدوره سلطة قضائية موسعة فكندا مثلاً تزواج فيها الثقافات عن طريق الهجرة وهذا ما ساعدها على ثراء منظومتها الفكرية.

ان التنوع الثقافي ليس ببساطة مجرد ميزة إيجابية ينبغي الحفاظ عليها بل هو مورد يجب تعزيزه، وذلك عن طريق ازدواجه بمجموعة من مفاهيم التي تكون بدورها فعالة داخله كالفن والثقافة وغيرها من مفاهيم. كما ينبغي علينا أن نؤكد على صور التي تهتم بمستقبل اللغات كذا التعليم والمضمون الثقافي والابداع فهذه بدورها تحسن وتؤثر في حالة التنوع الثقافي وتواكب الحقائق الواقعة في عالم اليوم.

قائمة المراجع:

1- الكتب:

- أبو قحف، عبد السلام، إدارة الأعمال الدولية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، 2005.
- بن نبي، مالك، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1949.
- ماترلار، آرمان، التنوع الثقافي والعولمة، ترجمة، خليل أحمد خليل، دار الفارابي، (ط1)، بيروت، 2008.
- كوتوكديان، جورج، كوربيت، جون، تقرير اليونسكو العالمي: (الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات)، جانين تريفييس-هابار، يوليو 2008.
- Dhakshayene Holmgren, A. J. (2013). **Cultural diversity in organizations A study on the view and management on cultural diversity master**, Umeå University.

2- المذكرات:

- بكاي، عبد المجيد، (التنوع الثقافي وعلاقته بالقيم التنظيمية داخل المنظمات متعددة الجنسيات في الجزائر)، رابح العايب، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرط فونيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2016/2015.
- فراج، (الثقافة والتسيير، الثقافة وعملية التنشئة الاجتماعية في الوطن العربي)، ورقة قدمت في أعمال الملتقى الدولي حول الثقافة والتسيير بالجزائر، 1992، الجزائر.

3- المواقع الالكترونية:

- التنوع الثقافي ... وصية اليونسكو للتراث الإنساني المشترك، العين الإخبارية، 2019/5/21، الموقع الالكتروني: <https://al-ain.com/article/diversity-difference-identity>
- تاريخ الزيارة: 2019/12/25 في 6:50
- وزي، وزي، (مفهوم التنوع الثقافي)، موقع سطور، 28 مارس 2019، الموقع الالكتروني- <https://sotor.com>، تاريخ الزيارة 2019/12/25 في 7:16.

• إسماعيل، نجله، الاعلام الطائفلي، المنهل، نسخة الكترونية،

<https://books.google.dz/books>، تاريخ الزيارة: 2019/12/26 في

- Nkomo, S. M., Cox Jr, Taylor. (1999). Diverse Identities in Organizations. Retrieved from <http://sk.sagepub.com/books/managing-organizations>
- <http://www.unesco.org/culture/aic/echoingvoices/downloads/echoing-voices-ar.pdf>
- Lisa DLisa, Belfield (18-12-2012), "What Is Cultural Diversity" www.purdueglobal.edu, Retrieved 16-4-2019. Edited